ووقع في سورة الأعراف (قالوا يا موسى إما أن تقلي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا) واختصر هنا تخييرهم موسى في الابتداء بالأعمال وقد تقدم بيانه هناك فقول موسى لهم (ألقوا) المحكي هنا هو أمر لمجرد كونهم المبتدئين بالإلقاء لتعقبه إبطال سحرهم بما سيلقيه موسى كما يقول صاحب الجدل في علم الكلام للملحد : قرر شبهتك وهو يريد أن يدحضها له . وهذا عضد الدين في كتاب المواقف يذكر شبه أهل الزيغ والضلال قبل ذكر الأدلة الناقضة لها . وتقدم الإلقاء آنفا . وذكر هنا مفعول (ألقوا) واختصر في سورة الأعراف .

وفي كلام موسى عليه السلام استخفاف بما سيلقونه لأنه عبر عنه بصيغة العموم أي ما تستطيعوه إلقاءه . وتقدم الكلام على الحبال والعصي في السحر عند الكلام على مثل هذه القصة في سورة طه .

وقرنت حكاية قول السحر بالواو خلافا للحكايات التي سبقتها لأن هذا قول لم يقصد به المحاورة وإنما هو قول ابتدأوا به عند الشروع في السحر استعانة وتيمنا بعزة فرعون . فالباء في قولهم (بعزة فرعون) كالباء في (بسم ا) : أرادوا التيمن بقدرة فرعون قاله ابن عطية .

وقيل الباء للقسم : أقسموا بعزة فرعون على أنهم يغلبون ثقة منهم باعتقاد ضلالهم أن إرادة فرعون لا يغلبها أحد لأنها إرادة آلهتهم . وهذا الذي نحاه المفسرون والوجه الأول أحسن لأن الجملتين على مقتضاه تفيدان فائدتين .

والعزة : القدرة وتقدم في قوله (أخذته العزة بالإثم) في البقرة .

وجملة A E السمع كأن : (فرعون بعزة) قولهم عن إنشاء استئناف (الغالبون لنحن إنا) هو موسى أو غيره يقول في نفسه : مإذا يؤثر قولهم (بعزة فرعون) ؟ فيقولون (إنا لنحن الغالبون) وأرادوا بذلك إلقاء الخوف في نفس موسى ليكون ما سيلقيه في نوبته عن خور نفس لأنهم يعلمون أن العزيمة من أكبر أسباب نجاح السحر وتأثيره على الناظرين . وقد أفادت جملة (إنا لنحن الغالبون) بما فيها من المؤكدات مفاد القسم .

(فالقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون [45]) .

تقديم قريب منه في سورة الأعراف وفي سورة طه .

(فألقي السحرة ساجدين [46] قالوا آمنا برب العالمين [47] رب موسى وهارون [48] قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين [49]) .

قصد فرعون إرهابهم بهذا الوعيد لعلهم يرجعون عن الإيمان باﷲ . ونظير أول هذه الآية تقدم في سورة الأعراف ونظير آخرها تقدم فيها وفي سورة طه . وهنالك ذكرنا عدد السحرة وكيف آمنوا . واللام في (فلسوف) لام القسم .

(قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون [50] إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطينا أن كنا أول المؤمنين [51]) .

الضير : مرادف الضر يقال : ضاره بتخفيف الراء يضيره ومعنى (لا ضير) لا يضرنا وعيدك . ومعنى نفي ضره هنا : أنه ضر لحظة يحصل عقبه النعيم الدائم فهو بالنسبة لما تعقبه بمنزلة العدم . وهذه طريقة في النفي إذا قامت عليها قرينة . ومنه قولهم : هذا ليس بشيء أي ليس بموجود وإنما المقصود أن وجوده كالعدم .

وجملة (إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لنفي الضير وهي القرينة على المراد من النفي .

والانقلاب : الرجوع وتقدم في سورة الأعراف .

وجملة (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) بيان للمقصود من جملة (إنا إلى ربنا منقلبون) . والطمع : يطلق على الظن الضعيف وعرف بطلب ما فيه عسر . ويطلق ويراد به الظن كما في قول إبراهيم (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) فهذا الإطلاق تأدب مع اﷲ لأنه يفعل مايريد . وعللوا ذلك الطمع بأنهم كانوا أول المؤمنين باﷲ بتصديق موسى عليه السلام وفي هذا دلالة على رسوخ إيمانهم باﷲ ووعده .

(وأوحينا إلى موسى أن اسر بعبادي إنكم متبعون [52])